

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم
دراسة تحليلية
د. جمال حواوسة
جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

ملخص:

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على مفهوم الأسرة البديلة ودورها في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية للطفل اليتيم، وأنواع هذه الحاجات المختلفة، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في محاولة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات، وتوصلت إلى أن دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات اليتيم لا يقل أهمية عن الأسرة الطبيعية، وأن رعاية الطفل اليتيم داخل أسرة بديلة أفضل من إيداعه داخل مؤسسات الإيواء التي تهتم بإشباع الحاجات المادية لليتيم فقط، مما يترتب عليه العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية.

وفي الأخير اقترحت الدراسة مجموعة من التوصيات من شأنها أن تساعد الأسرة البديلة على تلبية الحاجات الأساسية لليتيم وإشباعها.

Abstract:

This study attempts to shed light on the concept of alternative family and its role in satisfying the social and psychological needs of the orphan child, and the types of these different needs. This study adopted the descriptive analytical methodology in an attempt to answer a series of questions. It concluded that the role of alternative family in satisfying the needs of the orphan is not less important than the natural family one, and that taking care of the orphan child in an alternative family is better than placing him/her in specialized establishments that are very often interested in satisfying the material needs, resulting in many social and psychological problems.

The study has finally suggested a set of recommendations that could help the alternative family to meet the basic needs of orphans and satisfy them.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

مقدمة:

تعتبر الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، فهي مرحلة جوهرية تعتمد عليها مراحل النمو الأخرى، كما أنها الحجر الأساس لتكوين شخصية الطفل، وإذا تم بناءه بصورة صحيحة وسليمة نتج عنها شخص مثالي يستطيع مواجهة صعوبات الحياة بكل ثبات، ويقوم الوالدان بالدور الأساس في بناء شخصية الطفل من جميع النواحي وتنمية قدراته، وفي حالة موت أحد الوالدين أو كلاهما يفقد الطفل النماذج البشرية الحية التي على إثرها يبني شخصيته بالتدرج، فلا يجد حينها النموذج الذي يقتدي به في بناء ذاته، وتأمين حاجاته البيولوجية والنفسية والاجتماعية.

فالطفل منذ ولادته مرتبط بوالديه باعتبارهما مثلاً للقوة والمعرفة، ويعبر عن رغبته في أن يكون مثلهما في كل شيء، لأنهما يشبعان حاجاته الأساسية من الحب والحنان والشعور بالأمن، وفي حالة غياب أي منهما يشعر الطفل بالقلق والاضطراب النفسي والانطواء والعدوانية وغيرها من الاتجاهات السلبية نحو الذات أو نحو الآخرين.

وعندما يكون الطفل يتيم فإنه سيعاني من مشكلة الجهل والأمية، ويصفه المجتمع بوصمة اليتيم، دون أن يمد له يد المساعدة والعون. فبعد أن كان اليتيم ضمن رعاية والديه، أصبح فاقداً للحنان والعطف والإحسان، مما يؤثر على نفسيته وواقع حياته، ومن هنا تعد ظاهرة اليتيم من الظواهر السلبية التي يعاني منها الأطفال خصوصاً والمجتمع عموماً، فاليتيم إنسان له حق الحياة الكريمة، وحق التربية والتعليم، وإذا أُهل تاهيلاً متكاملًا أصبح إضافة حضارية، وإذا أُهمل تاهيله اختلت البنية الاجتماعية للمجتمع.

ولقد اعتنى الإسلام بعناية كبيرة باليتيم وكفالاته والقيام بشؤونه وحفظ حقوقه المالية وميراثه، ويتضح ذلك في الكتاب والسنة، قال الله عز وجل (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) سورة الأنعام الآية: 152، وقال تعالى: (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حُوباً كبيراً) سورة النساء الآية: 2، وقال أيضاً: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

وسيصلون سعيراً) سورة النساء الآية: 10. ويقول رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما شيئاً).¹ ومن خلال هذه التوجيهات بات في غاية الأهمية ضرورة التأكيد على الرعاية الكاملة الشاملة لليتيم، حيث اعتنى المسلمون بالأيتام وأقاموا لهم مؤسسات ترعى شؤونهم وتحضنهم، فظهرت الأسرة البديلة كشكل من أشكال الرعاية الجديدة للأطفال المحرومين من النشأة داخل أسرهم الطبيعية، ومن هذا المنطلق حاولت هذه الدراسة الكشف عن دور الأسرة البديلة في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية للطفل اليتيم.

أولاً- مشكلة الدراسة:

تعتبر قضية الطفل اليتيم من بين القضايا التي أهملها الكثير من علماء الاجتماع وعلماء النفس، فعلى الرغم من أن المجتمع الدولي لم يغفل الاهتمام بالأطفال الأيتام وبحاجتهم للحماية والرعاية، إلا أننا ما نشاهده اليوم في مجتمعاتنا أن صورة اليتيم أصبحت مشوهة ومكانته غير معروفة، وتم إسقاطه من البرامج الاجتماعية والسياسات العمومية، وأصبح عرضة للانحراف والتطرف. وهذا المجتمع نفسه يتحمل المسؤولية كاملة في اتخاذ كافة الإجراءات والتدابير والمواقف الإيجابية التي تكفل رعاية اليتيم، ليعيش في كفالة الجماعة وينسجم معها. وقد عمل المسلمون منذ القدم على بناء وإنشاء دور خاصة لرعاية الأيتام، لتتولى المؤسسات الإسلامية العامة والخاصة؛ تربيتهم ورعايتهم والإنفاق عليهم، ومساعدتهم على النمو الطبيعي والحياة الإيجابية في المجتمع، فالرعاية المجتمعية هي منظومة متكاملة شاملة للعديد من الخدمات التي تقدمها الدولة لأبنائها كالرعاية الصحية والتعليمية والثقافية والمؤسسية، لذا فأى قصور في نمط الرعاية الذي يقدم للأبناء قد يصاحبه العديد من المشكلات المتعلقة بالصحة والتعليم والسلوك.

¹ - أحمد ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد: 9، دار التقوى، القاهرة، مصر، 2000، ص 405، وهو حديث رواه أبي مالك سهل بن سعد الساعدي في كتاب الطلاق برقم: 5304.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

وكما هو معلوم فإن وسائل التكافل الاجتماعي باليتيم كثيرة أهمها على الإطلاق هو تحقيق حاجاته الاجتماعية والنفسية، فعلى الرغم من أنه يمكن حماية ورعاية اليتيم عن طريق المؤسسات الاجتماعية المتخصصة، إلا أن حماية ورعاية هذه المؤسسات لا ترتقي إلى مرتبة الأسرة، وذلك لأن الأسرة هي المحضن الأول للطفل، فهي مؤسسة اجتماعية تجمع بين الاستجابة الشخصية والرعاية الاجتماعية المتناسكة، إلا أنه يمكن تعويض الطفل اليتيم عن أسرته الطبيعية التي حرم منها بالأسرة البديلة ليكتسب منها ما ينقصه من الحاجات الفردية والضرورية في تكوينه الاجتماعي والنفسي، ويستقي منها المبادئ والقيم الدينية والأسرية والمفاهيم الاجتماعية العامة التي لا يمكن أن يحصل عليها في المؤسسة الإيوائية.

ومن هنا تعتبر الأسرة البديلة من الوسائل الهامة في رعاية الطفل اليتيم، حيث تساعده على بناء شخصيته وقيمه المجتمعية، ولا يستطيع أحد أن يدعي بأن المؤسسات الإيوائية يمكن أن تشبع حاجاته الضرورية ولو جزءاً يسيراً منها مقابل وجوده داخل أسرة بديلة، تكون بمثابة أسرته الطبيعية التي يمكن أن توفر له أغلب الاحتياجات، فالأسرة البديلة من أهم البرامج التي تساعد على رعاية الطفل اليتيم من خلال توفير بيئة مشابهة للبيئة الأسرية التي حرم منها.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤلات

الآتية:

- 1- ما المقصود بالأسرة البديلة؟.
- 2- هل للأسرة البديلة دور في إشباع حاجات الطفل اليتيم؟.
- 3- ماهي أنواع الحاجات التي يمكن إشباعها؟.
- 4- ماهي التوصيات والإرشادات الواجب إتباعها للعناية باليتيم من الناحية الاجتماعية والنفسية والعقلية؟.

ثانياً- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من الواقع السلي الذي يعيشه اليتيم في المجتمع العربي بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، حيث تم إغفال فئة الأيتام وإسقاطهم من البرامج

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

الاجتماعية والسياسات العمومية، وبالتالي تركهم عرضة للانحراف وللتطرف، وبالرغم من الجهود المبذولة من طرف الدول والحكومات والأفراد والمؤسسات التطوعية لكفالة الأيتام، فإنها قد تكون أحياناً غير منظمة وعشوائية، الأمر الذي يتطلب تحديداً إدارياً علمياً لرعاية اليتيم، فإن أخذ حظه من التربية والتوجيه كان له الأثر الجيد في المجتمع، وإذا أهمل ونشأ تنشئة سيئة فإنه يكون خطراً على مجتمعه.

ثالثاً- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى محاولة التعرف على الواقع الذي يعيشه الطفل اليتيم، ومدى قدرة الأسرة البديلة على إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية لهذا الطفل، وأنواع هذه الحاجات، والآثار المترتبة عن عدم إشباعها وما يتبعها من احباطات متعددة نفسية ومادية، والتي تؤثر فيما بعد على صحة اليتيم وتوازنه النفسي والاجتماعي في المجتمع، وفي الأخير حاولت الدراسة الخروج بمجموعة من التوصيات والإرشادات والتي من شأنها أن تساعد الأفراد والمؤسسات والمهتمين بالشأن الأسري على تلبية الحاجات الأساسية والأولية لليتيم وإشباعها.

رابعاً- منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وهذا من أجل استجلاء الملامح المختلفة لدور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم المختلفة، وتم تطبيق هذا المنهج من خلال الاستعانة بالبحوث والدراسات السابقة في هذا المجال.

خامساً- مفاهيم الدراسة:

1- مفهوم الدور: Role

الدور نموذج يتركز حول بعض الحقوق والواجبات ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة أو موقف اجتماعي معين، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الشخص نفسه²، ولكل دور اجتماعي

²- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2006، ص 358.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

مجموعة واجبات وحقوق اجتماعية معينة، فواجبات الدور هي مجموعة التصرفات التي يقوم بها لاعب الدور الاجتماعي أثناء تصرفاته وعلاقته بالآخرين، وحقوق الدور هي الامتيازات والمكافآت التي تقدم للدور بعد قيام صاحبه بالواجبات المتوقعة منه.³

فالدور يمثل نماذج سلوكية متبادلة يكتسبها الفرد من خلال الاحتكاك بجماعات أخرى غير جماعته، حيث أن دور جماعة معينة ينتظم طبقاً للأدوار الموجودة عند الجماعات الأخرى والتي يحتك بها خلال الحياة اليومية والعملية.⁴

2- مفهوم الأسرة: Family

أصل كلمة الأسرة مأخوذة من الأسر بمعنى الشدّ والعصب... والأسرة بالضم: الدرع الحصينة، ومن الرجل الرهط الأدنون⁵. فالملاحظ أن المقصود بالأسرة في اللغة جماعة الرجل الذين يتقوى بهم ويحتمي بهم (فالإنسان لا يكون قوياً عزيزاً وفي منعة إلا إذا كان في أسرة تحصنه وتمنعه)⁶.

والأسرة في علم الاجتماع رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة. ويرى البعض أن الزواج الذي لا تصحبه ذرية لا يكون أسرة. ولقد حاول العديد من العلماء وضع تعريف للأسرة، ولعل أبرز تلك التعاريف هو ما جاء به العلامة سمنر، فقد ذهب إلى أن الأسرة منظمة اجتماعية مصغرة تحتوي على جيلين من الأفراد على الأقل تؤسس على أساس رابطة الدم...⁷

³ - فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، انترناسيونال، ط 2، بيروت، لبنان، 1998، ص 286.

⁴ - المرجع نفسه، ص 287.

⁵ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986، ص 438.

⁶ - السيد أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، دار الوفاء، مصر، 1986، ص 6.

⁷ - زهير عبد المالك، علم الاجتماع لطلاب الفلسفة، منشورات مكتبة الوحدة العربية، دون سنة، ص 90.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

3- مفهوم الأسرة البديلة: Foster Family

الأسرة البديلة شكل من أشكال رعاية وتربية الأطفال الأيتام أو مجهولي الأبوين أو الأطفال الذين يتعذر على آبائهم رعايتهم بسبب مرضهم أو احتجازهم في السجن، وظهر هذا النمط من الرعاية بدلاً من وضع الطفل في مؤسسة تقوم بهذه المهمة، و قد ساعد هذا الأسلوب في رعاية الأطفال المحرومين من رعاية أبويهم بدلاً من تنشئة الأطفال داخل مؤسسات إيوائية تنعكس على حياة الطفل في المستقبل، ومن أساسيات العمل في مجال الرعاية البديلة هي معايير اختيار الأسرة التي سوف تقوم برعاية الطفل وتربيته (لفترة قصيرة أو طويلة وتقديم المتابعة المستمرة للطفل والأسرة)⁸، وبذلك فإن الأسرة البديلة تختلف عن التبني الذي يعتبر وسيلة لرعاية الأطفال الذين لم يحصلوا على الرعاية من والديهم الحقيقيين فيصبحون بالتبني أعضاء في أسرة أخرى جديدة.

ويعرف القانون الأمريكي الأسرة البديلة على أنها الوسيلة لإنشاء علاقة بين الطفل المحروم من رعاية وحماية والديه الطبيعيين، وبين شخص يريد أخذ هذا الطفل في منزله الخاص، وفي منزلة ابنه الطبيعي. وبهذا يتضمن التبني انفصام العلاقة بين أقارب الدم، وقيام علاقة أبوية أخرى بواسطة عملية قانونية.⁹

4- مفهوم الإشباع: Satisfaction الإشباع هو بلوغ حد الكمال، وهو إرضاء

رغبة أو بلوغ هدف ما أو خفض دافع ما. ويعني الإشباع في نظرية التحليل النفسي،

⁸ - حمدي السكري، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعارف المصرية، 2000، ص ص 208 - 209.

⁹ - عزه حسين زكي، دراسة عن المشكلات السلوكية التي يعاني منها أطفال المرحلة الابتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية، رسالة ماجستير، مكتبة معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1985، ص 39.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

التخلص من التوتر فتراكم التنبيه يحدث إحساساً بالألم ويدفع الجهاز إلى العمل لكي يحدث مرة أخرى حالة إشباع يدرك فيها خفض التنبيه كأنه لذة.¹⁰

5- مفهوم الحاجة: Need

الحاجة بمعنى افتقار إلى شيء ما، وإذا وجد حقق الإشباع والرضا والارتياح للكائن الحي¹¹، وبالتالي فهي الشعور بالنقص أو الرغبة في شيء ما ضروري للحياة، وهي حالة داخلية من التوتر تتولد عن رغبة غير مشبعة، حيث يشعر المرء بأنه ينقصه شيء ما، فهي إحساس داخلي يوقظ ميل الفرد الطبيعي إلى القيام بفعل ما.

ومن هنا فالحاجة هي الشعور بالنقص أو الرغبة في شيء والافتقار لهذا الشيء، حيث يشعر الفرد بالتوتر والاضطراب من هذا النقص، والإنسان يسعى بطبيعته إلى إشباع حاجاته المختلفة وعدم إشباع حاجة من حاجاته يؤثر في حاجاته الأخرى. ويرى البعض أن الحاجة هي تعبير عن مطلب أو مجموعة مطالب للإنسان تجاه الموارد الطبيعية له، يؤدي تحقيقها وتلبيتها إلى إنماء طاقاته اللازمة لعمارة الأرض.¹²

والحاجات تتنوع وتختلف، فمنها الحاجة النفسية، والتي تتمثل في ضرورة الشعور بالأمن والطمأنينة والتقدير والحرية والاستطلاع والرغبة في الانتماء¹³، وهناك الحاجات الاجتماعية، والتي حددها أبراهام ماسلو Maslow على أنها الحاجة إلى الانتماء والحب، أي أن الفرد يسعى إلى الانتماء إلى جماعة معينة تحيطه بالرعاية والحنان.¹⁴

¹⁰ - تسعديت قدوار، أثر تكنولوجيايات الاتصال على الإذاعة وجمهورها، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال (منشورة)، جامعة الجزائر 3، 2011، ص 30.

¹¹ - أحمد سهير كامل، محمد سليمان، تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002، ص 135.

¹² - عبد العزيز عابد، مفهوم الحاجات وأثره على الإنماء الاقتصادي، بحث منشور في: أبحاث المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دار العلم، جدة، السعودية، دون سنة، ص 85.

¹³ - عدلي سليمان، الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 31.

¹⁴ - أحمد سهير كامل، محمد سليمان، تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002، ص 197.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

6- مفهوم اليتيم: Orphan اليتيم في اللغة هو الانفراد، واليَتِيم: الحاجة، وبه سمي اليتيم يتيماً؛ لحاجته، واليَتِيم بالتسكين: الهم، وبه سمي اليتيم يتيماً لهمومه¹⁵، فمن فقد أباه فهو يتيماً، ومن فقد أمه منقطع، أما من فقد أباه وأمه معاً؛ فهو (لطيماً). والولد لا يدعى يتيماً بعد بلوغه ومقدرته على الاعتماد على نفسه، أما الجارية فهي يتيمة حتى يُبنى بها. أما مفهوم اليتيم شرعاً فهو من مات عنه أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم بعد، ويستمر وصفه باليتيم حتى يبلغ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يُتَمَّ بعد احتلام"¹⁶، أما في القرآن الكريم فقد تعرضت الآيات لليتيم في اثنين وعشرين موضع وفيها بيان شمول اللطف الإلهي لليتيم، والايضاء به، وبيان حقوقه الاجتماعية والمالية.

ويجب أن نفرق بين اليتيم واللقيط، فاليتيم هو الذي مات أبوه وهو دون البلوغ، سواء ماتت أمه أم لم تمت، فله أب معروف ثبت نسبه منه ولكنه مات، ويقوم الولي أو الأم أو من يقوم مقامها بحضانتها وكفالتها ونفقته والحفاظ على أمواله، فله كافل معلوم... وأما اللقيط، فهو الصغير المنبوذ، أو الضائع الذي لا يُعرف نسبه ولا رَقَّه، فهو غير معروف النسب، وقد يظهر له أب وقد لا يظهر، كما إذا كان ميّتاً، وقد لا يكون له أب كما إذا كان من الزنا، فاللقيط ليس له كافل معلوم.¹⁷

سادساً- دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم:

¹⁵ - لاحظ مادة اليتيم في: لسان العرب لابن منظور، حرف الميم، فضل الياء، 12/ 645-646، دار بيروت، لبنان.

¹⁶ - أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الوصايا، باب متى ينقطع اليتيم عن علي رضي الله عنه، 3/ 115 ح 2873، قال ابن حجر: إسناده حسن، جاء في كتاب: الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف بهامش تفسير الكشاف 1/ 464.

¹⁷ - عبد الأحد ملا رجب، أحكام اليتيم في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير منشورة، دار الأطلس للنشر والتوزيع، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، قسم الفقه، الرياض، السعودية 1412-1413هـ، ص 10.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

لقد أشار علماء النفس إلى أن الأسرة هي الجماعة الأولية المسؤولة شرعاً وقانوناً واجتماعياً عن رعاية أبنائها، وإشباع حاجاتهم الأساسية والثانوية، كالحاجة إلى الطعام والشراب والملبس... الخ، بالإضافة إلى الإشباع النفسي والاجتماعي الذي يتحقق عن طريق الدفء والحنان الذي يهبه الوالدان لأبنائهما، ومن هنا فإن المناخ الأسري الصحي يعمل على إشباع حاجات الأبناء بطريقة سوية دون إفراط أو تفريط، وبشكل متوازن حسب أولوية الحاجات وأهميتها، وهذا عكس المناخ الأسري المرضي المتوتر الذي يؤدي إلى نقص في إشباع الحاجات النفسية للأبناء أو إحباطها بشكل يدعو إلى القلق والتوتر. فعندما يتفاعل شخصان أو أكثر فإن كل منهما سوف يتصرف حسب الحاجة التي نماها نموذج سلوكه المميز خلال الطفولة¹⁸، وبالتالي فأنماط التفاعل بين شخصين قد يسودها الانسجام أو عدمه. وتقع مسؤولية رعاية الأبناء الذين حرموا من الرعاية الوالدية لأي سبب من الأسباب، كاليتيم أو التفكك الأسري على المجتمع بكل مؤسساته، فالرعاية المجتمعية هي منظومة متكاملة شاملة للعديد من الخدمات التي تقدمها الدولة لأبنائها، كالرعاية الصحية والتعليمية والثقافية والمؤسسية، لذا فأى قصور في نمط الرعاية الذي يقدم للأبناء قد يصاحبه العديد من المشكلات المتعلقة بالصحة والتعليم والسلوك.¹⁹

وتعد الأسرة البديلة من بين المؤسسات الاجتماعية التي تتكفل بتحقيق حاجات الطفل اليتيم بدل الأسرة الطبيعية، حيث توفر له الكفالة والرعاية الأسرية والتربوية والصحية... الخ. حيث دلت نتائج الدراسات الاجتماعية والنفسية على أن رعاية الطفل اليتيم داخل أسرة بديلة أفضل من إيداعه داخل مؤسسات الإيواء كالملاجئ وقرى الأطفال والمنازل الجماعية، لأن الأسرة البديلة أشبه بجو الأسرة الطبيعي، وأن أثر الأسرة البديلة في

¹⁸ - أبو نيل محمد السيد، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ج 2، ط 4، بيروت، لبنان، 1985، ص 259.

¹⁹ - منى عبد اللطيف عبد الحمدي جاد الحق، قصور الرعاية الاجتماعية وعلاقته بالاضطرابات السيكوسوماتية والانحرافات السلوكية لدى أبناء المؤسسات الرسمية والأهلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 2005، ص 3.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

رعاية اليتيم قد لا يقل عن الأسرة الطبيعية إلا في حالة عدم ملائمة بعض الأطفال اليتامي لمثل هذه الأسر أو عدم تقبلهم للرعاية البديلة، كما أثبتت الدراسات الميدانية المقارنة تميز أطفال الأسر البديلة على أطفال المؤسسات في كثير من الجوانب العاطفية والنفسية والاجتماعية والعقلية.²⁰

إن حرمان الطفل من رعاية الأسرة البديلة وإقامته بالمؤسسات الإيوائية يترتب عليه العديد من المشكلات، ويفقده الشعور بالاستقرار، حيث يتضح أن مؤسسات الإيواء قد نجحت إلى حد ما في إشباع الاحتياجات المادية للطفل، ولكنها أخفقت بدرجة أو أخرى في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية المختلفة، مما نتج عنه حالات كثيرة من عدم التكيف مع النفس ومع الآخرين، والشعور بالاغتراب عن الأسرة والمجتمع الخارجي.

إن الرعاية التي تُقدم للأطفال في دور الأيتام، وبالرغم من أهميتها، لا تحقق لهم الأمان والراحة والحنان المطلوب، الأمر الذي يؤدي إلى اضطرابهم وتوترهم وقلقهم على حاضرهم ومستقبلهم، ونادراً ما يجد الأطفال في دور الأيتام أمماً تشبه أمهم وتعوضهم عنها، وقليلاً ما يجدون مشرفاً يتعامل معهم بحزم الأب المقرون بالمحبة.²¹

إن الحاجات غير المشبعة تسبب توتراً لدى الطفل اليتيم، وعدم إشباعها يؤدي حتماً إلى إحباط وتوتر حاد قد يسبب له ألاماً نفسية، ومن هنا وجب على الأسرة البديلة أن تحاول قدر الإمكان إشباع هذه الحاجات ومنها:

1- الحاجة إلى الكفالة الاجتماعية:

الكفالة في اللغة مشتقة من الكفل، وهو النصيب والمثل والضعف، قال الله تعالى: ((ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها)) سورة النساء الآية: 85، أي نصيب منها.

²⁰ - حنان أسعد حوج، تصور مقترح لتطوير أساليب رعاية الأيتام بالسعودية في ضوء اتجاهات بعض الدول العربية، دراسة مقارنة، مجلة العلوم التربوية، المجلد 22، العدد 4، ج 1، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، أكتوبر 2014، ص 395.

²¹ - كمال يوسف بلان، الاضطرابات السلوكية والوجدانية لدى الأطفال المقيمين في دور الأيتام من وجهة نظر المشرفين عليهم، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد: 1 و2، سوريا، 2011، ص 213.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

ويقال: ما لفلان كِفَل: أي مثل. وقال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته)) سورة الحديد الآية: 28، أي ضعفين.²²
وتبدأ المسؤولية هنا طبقاً لقاعدة الأقرب فالأقرب، ولكن إذا قام بها أحد الناس فهذا يكفي، إذ أن كفالة اليتيم من فروض الكفاية التي يجب أن تقوم بها أمة الإسلام فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الكل وإلا أثم جميع المسلمين.

ولقد رغب الشرع في التكفل باليتيم، وبشر النبي صلي الله عليه وسلم القائم على أمر اليتيم والمتعهد بكفالاته وحسن تربيته بالجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرق بينهما شيئاً).²³
والكفالة ليست مبلغ من المال يُقدم لليتيم شهرياً أو زيارة له في بعض المناسبات، وإنما الكفالة هي التربية والرعاية، والقيام بأمور اليتيم من نفقة وكسوة وتأديب... الخ، كما يجب على أفراد الأسرة مخالطة اليتيم والتفاعل معه، وإلا غاب المعنى التربوي في قضية الكفالة، ولهذا يقول الله تعالى: ((ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)) سورة البقرة الآية: 220.

فعلى الأسرة أن تعامل اليتيم كفرد من أفرادها يتساوى معهم في الحقوق والواجبات، ويقوم رب البيت بدوره التربوي بمراقبة تصرفاته وتقويمه إن لزم الأمر، ورعاية أمواله إن كان له مال، وقضاء حوائجه إن كان بغير مال، وتنشئته تنشئة صالحة، وتعليمه وتأديبه، وهو الهدف الأساسي للكفالة.

2- الحاجة إلى الأمن الاجتماعي:

الأمن ضرورة ملحة للمجتمع الإسلامي إذ به تتحقق رفاهية الفرد ويعم الخير جميع أفراد، وقد جاءت النصوص من الكتاب تؤكد وتحث عليه وتأمُر به، يقول عز وجل: ((الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهو مهتدون)) سورة الأنعام الآية: 82، وهو

²² - عبد الأحد ملا رجب، مرجع سابق، ص 219.

²³ - حديث سبق تخريجه.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

الأمن الذي يعني السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل، أي ما يشمل أمن الإنسان الفرد، وأمن المجتمع.

ولقد أثبتت الدراسات أن النمو السليم للطفل يعني وجود الأبوين أو من يحل محلهما بحيث يشعر الطفل بأنه محل رعاية واهتمام من قبل أبويه أو من يخلفهما، وبعض الدراسات تناولت الحالات التي تعيش في المؤسسات أو تلك التي انفصلت عن الأم، وقد تبين أن للحرمان من الأم أو الأب أو هما معاً له آثار مريضة جداً على شخصية الطفل تتضمن مجالات أساسية هي: الجوع الوجداني، الشخصية عديمة المودة ذات الميول العدوانية، الانطوائية والاكتئاب.²⁴

إن اليتيم يجد الأمن والأمان في ظل الأسرة، فالجو الأسري المضطرب لا يتيح للطفل فرصة إشباع الحاجة إلى الأمن والانتماء، ولا تقدير الذات، بل يربي فيه الشعور بالقلق وينمي لديه عادات سلوكية سيئة. وإن لكل أسرة دور كبير في تحقيق توجهات وتطلعات المجتمع من الأمن ورغد العيش...؛ لأن الأسرة هي الدرع الحصينة لحماية أفرادها من الانزلاق في المهووي²⁵، والأمن من أبرز حاجات الطفل اليتيم، وهو ثلاثة أقسام: - الأمن البيولوجي: يعني أن يكون الجسد آمناً من الأمراض والأوبئة والأخطار.

- الأمن الحياتي: وهو أن الإنسان يحتاج إلى أن يشعر بأن حياته غير مهددة بالخطر والزوال والانقراض.

- الأمن النفسي: هو الشعور بوجود المأوى، يعطي الإنسان شعوراً بالدفء والحماية والانتماء.

²⁴ - إبراهيم بن مبارك الجوير، الأسرة وأثرها في تحقيق الأمن الفردي والمجتمعي، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 21- 2/24 عام 1425هـ.

²⁵ - عبد الله بن فهد الشريف، دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 21- 2/24 عام 1425هـ.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

فاليتيم الذي يفتقد حاجة الأمن ويشعر بالتهديد المستمر من قبل القائمين على رعايته بالطرد أو الحرمان لا يشعر بالطمأنينة والأمن فهو متردد خائف غير مستقر، ويظهر ذلك عليه من خلال بعض الاضطرابات السلوكية الظاهرة، أما في مرحلة الرشد فيحس بالنبذ وعدم رغبة الآخرين به، ويجد صعوبة في الزواج وخاصة مجهول النسب بسبب عدم وضوح نسبه، كل ذلك يؤثر على شخصيته فيما بعد.

3- الحاجة إلى الحب والعاطفة:

وهي الحاجات العاطفية Emotional Needs، أو الحاجة إلى الدعم العاطفي، وهي من الضروريات لدى اليتيم، فالحاجة إلى الحب والمودة بمثابة الغذاء النفسي للطفل، وهذا ما تؤكد عليه الدراسات التي أجريت على أطفال مؤسسات الأيتام. فالطفل بحاجة إلى محبة والديه وعطف من حوله، وعلاوة على حاجته للتعبير عن حبه نحوهم، وحتى يمكن إشباع هذه الحاجات فلا بد من وجود أسرة يسودها التفاهم ودفء العلاقات... وبدون شك فإن الأطفال المودعون في أسر بديلة يجدون هذه الحاجة فضلاً عن الأطفال المودعون في المؤسسات الإيوائية.²⁶ إن بناء شخصية اليتيم وصحته النفسية يكون من خلال العطف عليه دون مجاملات، لأن الطفل اليتيم يمتلك القدرة على تمييز الحب الحقيقي المدعم بالحنان والمودة والشفقة من بعض مظاهر الحب الخداعة، فليست الهدايا أو الحلوى بقادرة على أن تخدع النفسية المرهفة والمتعبة للطفل اليتيم الذي يحتاج إلى أن يشعر بأنه محبوب، وفي حالة عدم إشباع هذه الحاجة يعاني الطفل من الجوع العاطفي ويشعر أنه غير مرغوب فيه وبالتالي يصبح مضطرب نفسياً.

وتتكون الحاجة للحب والحنان من عنصرين يصعب في كثير من الأحيان الفصل بينهما: أولهما الرغبة في الود من الآخرين، والتي تعني الحاجة إلى الالتصاق المادي مع

²⁶ - حمدان بن عبيد العتيبي، تجربة الأسر البديلة لرعاية الأحداث من الانحراف، دراسة تشخيصية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2010، ص 35.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

شخص آخر التصاقاً يتخذ صورة الاحتضان والتقبيل والربت، وثانيهما الرغبة في الحصول على المساعدة والحماية والمعونة والتأييد من شخص آخر أو جماعة أخرى.

وإذا افتقد الطفل إلى الحب والحنان في الأيام المبكرة من حياته فإن ذلك يؤدي إلى فقدان الثقة والشك، وتنمو شخصيته غير آمنة خصوصاً عند فقدان الأب أو الأم أو لكلاهما معاً، وبالتالي فالجو العائلي السعيد هو الذي يخلق هذا الشعور بالحب ويتعهد به بالبناء، وهذا يتوقف على دور الأسرة البديلة في توفير الأمان العاطفي والجو المناسب للطفل اليتيم، وخاصة الأم التي ترضعه الحب والعاطفة جنباً إلى جنب وهذا ما يفتقده اليتيم، لذلك نرى بأن التبني والرضاعة الطبيعية من الأم البديلة لها أكبر الأثر في التخفيف من معاناة اليتيم في طفولته.

4- الحاجة إلى الصحبة والرفقة:

وهذه طبيعة فطرية عند الإنسان، وتتأكد في مرحلة الطفولة، حيث يجمع كثير من علماء النفس أن السنوات الأولى من عمر الطفل ذات أثر حاسماً في تحديد شخصيته المقبلة، وتحديد اهتماماته العقلية واتجاهاته الانفعالية، ففي علاقاته الاجتماعية يعتمد كثيراً على من حوله من الوالدين والأخوة، فلا يمكن الاستقلال في هذه المرحلة وحرمانه من والديه الحرمان الحقيقي أو العاطفي الذي له أثر بالغ في تشكيل شخصيته الاجتماعية في مستقبل حياته.

كما تلعب علاقات الإخوة دوراً كبيراً في رفقة وصحبة اليتيم، حيث توفر تفاعلاً جديراً بالاعتبار مع قضاء الإخوة كثيراً من الوقت معاً، وتستمر علاقات الإخوة في إتاحة الفرصة لتعلم العديد من المهارات الاجتماعية المهمة مثل المحاورة، والتفاهم، وحل النزاعات¹، وهذا ما يجعل دور الإخوة وإرشادهم ضروري في تفهم ظروف اليتيم. وعلى الإرشاد الأسري أن يعي أهمية دور علاقات الإخوة مع الطفل اليتيم ويهيئ الأسرة للتفاعل

¹ - بيكمان بايولاج، استراتيجيات العمل مع أسر ذوي الاحتياجات الخاصة، ترجمة عبد العزيز السرطاوي وآخرون، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص 198.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

معه، إذ أن دعم الأسرة وتفهمها لاحتياجات اليتيم عامل فعال في مساعدته على التغلب على مشاعره واحباطاته.

وفي هذه المرحلة من النمو يحتاج الطفل وبشدة إلى من يحقق له حاجة حب الاستطلاع، والتعرف على الحياة من حوله واحتكاكه بالآخرين، فتبدأ الآفاق العقلية والمعرفية بالاتساع وتكثر القدرات الاجتماعية، وتعظم أهمية هذه الحاجة عند الطفل اليتيم عندما لا تكون الأجواء الأسرية مريحة بالنسبة له أو يشوبها علاقة توتر وصدام بين أفرادها. ولا بد من تلبية هذه الحاجة بالطريقة السليمة، فعلى الأسرة مساعدة اليتيم على اختيار الصديق المناسب، وعدم إلزامه بأصدقاء لا يفضلهم، كما يفعله بعض الآباء من باب الحرص على تربية أولادهم، كما يجب عليها أن تساعد الطفل اليتيم في اختيار أصحابه ورفقته عن طريق التحدث إليه مباشرة، أو اختيار المدرسة المناسبة له أو المراكز الاجتماعية والترفيهية الجيدة التي من خلالها تهيأ له الأجواء لاختيار الأصدقاء.

5- الحاجة إلى العمل والمسؤولية:

عندما ينمو اليتيم يدرك أنه أصبح مسئولاً عن ذاته وتصرفاته، كما يزداد إدراكه بأن جزء من مسؤولية الأسرة يقع على عاتقه خاصة عندما يكون أكبر الأبناء، لذلك وجب على الأسرة مراعاة هذه الحاجة لديه، وذلك بتحميله بعض المسؤوليات في المنزل والأسرة بما يناسب قدراته وجنسه واستعداداته، ولكن يجب الحذر في المراحل الأولى من تحميل المسؤولية من الآثار السلبية التي قد يصدرها الوالدان نتيجة قلة خبرة الابن أو البنت أو عدم إنجازهما للعمل في الوقت المطلوب لانشغالهما أو نسيانهما، حيث أن كثيراً من الآباء يهدم شخصية الطفل ويرميه بالغباء وعدم المعرفة وعدم الدقة وغيرها من الكلمات والأوصاف التي تهدم روح المسؤولية لديه.

ومن هنا يجب على الأسرة أن تنمي شعور الطفل اليتيم بواجب الكسب والمسؤولية، كأن تكلفه بأعمال منزلية معينة لقاء أجر حتى يربط بين واجب الكسب عبر العمل وحق الصرف. وهذه تربية فضلى قلما نجدتها في المجتمع العربي لاعتقاد خاطئ بأنها تغلب الوجه المادي على الوجه العاطفي، مع أنها بالعكس تنمي التعاطف بين الوالدين

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

والولد لشعوره بأن ما يكسبه والداه لا يأتي بأهون السبل بل بالجهد والعمل مما يعزز الشعور بالمسؤولية لديه كما يعزز الإكبار والتقدير لوالديه اللذين يكدان ويعملان لتقديم ما هو بحاجة إليه.²⁷

6- الحاجة إلى التربية والتعليم:

الطفل اليتيم له حق في التربية والتعليم كباقي الأطفال، وعلى الأسرة أن تقوم بغرس فيه القيم والفضائل الكريمة والآداب والأخلاقيات والعادات الاجتماعية التي تدعم حياة اليتيم، وتحثه على أداء دوره في الحياة تجاه مجتمعه ووطنه وتجعله مواطناً صالحاً في المجتمع، كما ينبغي على الأسرة تعليم اليتيم التفاعل الاجتماعي وكيفية تكوين العلاقات الاجتماعية من خلال ما يتعلمه في محيط الأسرة من أشكال التفاعل الاجتماعي، وعلى الأسرة تكييف هذا التفاعل وضبطه على النحو الذي يتوافق مع قيم المجتمع ومثله ومعايير، مما يجعله قادر على التفاعل مع الآخرين في المجتمع. كما يجب أن تعلمه أيضاً مبادئ التربية المدنية كعامل من عوامل الوقاية من الجريمة والانحراف، فهي السبيل لترسيخ المواطنة في نفوس المواطنين، وذلك بما تشمله من أدوات ووسائل تنشئة المواطنة لدى الأفراد، فالتربية المدنية تعني بإعداد المواطن من خلال القيام بدوره في المجتمع بكفاءة وفعالية واقتدار. ويعتبر الولاء والانتماء أولى حلقات سلسلة البناء الوطني.²⁸

ويقع على عاتق الأسرة ترسيخ القيم الإسلامية والاجتماعية، وحماية اليتيم من التيارات السلبية الهدامة، وذلك بتدريبه على مقاومة هذه التيارات التي تدعو إلى الخروج على القانون وانتهاك الحريات وارتكاب الجريمة وتهديد أمن المجتمع. هذا دون أن ننسى دور المرأة التي يقع عليها عبء تربية الأبناء، فلتكن للأولاد خير مربية وفي بيتها حكيمة مدبرة،

²⁷ - سرمد الطائي، التنمية السياسية، التنمية الاقتصادية والأمن، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004، ص ص 69-70.

²⁸ - رائد خليل سالم، المدرسة والمجتمع، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص ص 128-129.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

وعلى المال قائمة راعية حافظة له منمية وخدمها قدوة صالحة ترشدتهم إلى الواجب وتهديهم إلى الصلاح تهذب من أخلاقهم وتقوم بواجبهم تراقب سيرتهم وترعى نفوسهم.²⁹

7- الحاجة إلى معرفة وتحقيق الذات:

لقد وضع ماسلو هذه الحاجة في قمة هرم الحاجات، حيث تظهر الحاجة إلى معرفة الذات كنتيجة للنمو العقلي والمعرفي الذي يمر به الطفل، حيث يبدأ بالتساؤل: من أنا؟، وكيف تكون علاقتي مع هذه الأسرة الجديدة والأقارب والمجتمع من حولي؟، وهذه من أصعب الأسئلة التي يطرحها الطفل اليتيم، فهو يمر بمرحلة حرجة، ونظراً لصغر سنه وقلة خبرته، وإحساسه بأنه غريب، فإنه يحتاج إلى من يساعده، لذلك تلعب العلاقة الحميمة مع الوالدين والإخوة دوراً كبيراً في تحديد هويته بطريقة يسيرة تجعله يبحث عن إجابات للأسئلة التي يطرحها على نفسه، أو الأسئلة التي يطرحها الآخرون عليه.

أما عن حاجة تحقيق الذات فتشير إلى حاجة الإنسان إلى استخدام كل قدراته ومواهبه، وتحقيق كل إمكاناته الكامنة وتنميتها إلى أقصى مدى يمكن أن تصل إليه³⁰، كما يعني تحقيق الذات أن يحقق الطفل إنسانيته ودوره الاجتماعي الذي يريد أن يحققه في مختلف المجالات سواء كان في إطار المدرسة أو الأسرة، وعدم إشباع هذه الحاجة يولد اضطرابات نفسية.

فالطفل اليتيم بحاجة إلى إثبات ذاته والتعبير عنها، فيبدأ بالتعبير عن نفسه والإفصاح عن شخصيته في كلامه وأعماله وألعابه ورسومه وما يقدمه من خدمات للآخرين، ويهدد هذه الحاجة ويحبطها تحكم الكبار، وتدخلهم في الأنشطة التي يقوم بها، أو الإسراف في تقييده، والسخرية من أسئلته وأفكاره، أو إشعاره بأنه عديم القيمة والأهمية.

8- الحاجة إلى قبول وتقدير الذات:

²⁹ - محمد عبد العزيز الحولي، عظات بالغة متخيرة من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، دار العلوم والقضاء، القاهرة، 1931، ص 42.

³⁰ - حمدان بن عبيد العتيبي، مرجع سابق، ص 34.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

تشير هذه الحاجة إلى الرغبة في تحصيل المدح والانتباه من الآخرين، وإلى الحصول على المركز والمكانة العالية مع الأقران، وهي من أكبر الحاجات وأهمها، والأسرة هي التي تشبع هذه الحاجة لدى الطفل، بحيث يدرك أنه مقبول في الوسط الذي يعيش فيه، وهذه الحاجة ينبغي أن يجسدها العاملون مع الأيتام في سلوكهم وأنماط تصرفاتهم لأن إشعارهم بالقبول سوف ينعكس إيجاباً على شعورهم بالطمأنينة، ويعمق ثقتهم بأنفسهم وبالمجتمع من حولهم، وعلى العكس من ذلك فإن إحساس اليتيم بالنبذ وشعوره بأنه غير مرحب به البيت، أو في المجتمع الذي يعيش فيه سوف يولد لديه حتماً نوعاً من الشعور بالذنب يرافقه إحساس بالقلق وهذا يترك آثاراً سلبية على صحته النفسية.

على الأسرة البديلة أن تشعر الطفل اليتيم بأنه مرغوب فيه، وأن وجوده ضروري للجماعة التي يعيش بينها، وهذا كله يشبع هذه الحاجة عنده، ويشجعه على العمل وإبراز مكانته ومشاركته لجماعته واحترامه لذاته، ولا ينبغي على الأسرة البديلة أن تجعل من تصرف اليتيم معياراً لمدى قبوله ورفضه، لأن الآباء والأمهات يتقبلون أطفالهم لذواتهم وليس لأفعالهم، حتى أن الطفل لا يؤذيه عقاب لو عنف لذنب إقترفه إذا كان موقناً ومتيقناً من حب والديه له وقبولهما به، حيث أن ما يؤلم اليتيم هو شعوره باللامبالاة والبرود العاطفي على الرغم من تأمين وسائل الكفاية له.

9- الحاجة إلى الانتماء:

الفرد في حاجة إلى أن يشعر بأنه عضو في جماعة تربطه بهم مصالح مشتركة، وتنمو هذه الحاجة مع الطفل داخل الأسرة، ثم تنتقل إلى الانتماء للجماعات الأخرى التي يجد فيها الطفل إشباع حاجاته، فالطفل كعضو من أعضاء الأسرة يبدأ في الشعور بأنه ينتمي إليها، وكلما تقدم به العمر يزداد هذا الشعور بالانتماء. وحينما ينتمي الطفل إلى جماعة يتوحد معها ويزداد شعوره بالانتماء الذي يولد الأمن والطمأنينة، حيث تشبع هذه الحاجة عن طريق معرفة الطفل لكثير من الحقائق والمعلومات عن أجداده وأسرته. وبالنسبة للأطفال الأسر البديلة فإنه من الصعب إشباع هذه الحاجة لديهم لعدم معرفة أسرهم الحقيقية.³¹

³¹- المرجع نفسه، ص 35.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

وتشبع هذه الحاجة إذا شعر الطفل بأنه عضو في مجموعة يشعر فيها بوجود علاقات اجتماعية مختلفة، ولكي يشعر الطفل بالرضا عن حياته يحتاج لبعض الإحساس بالانتماء، وعندما يتواجد إحساس بالانتماء يشعر بأنه مرغوب فيه، أما الشعور بالعزلة فإنه ينتهي أحياناً بإحساس عميق بعدم الأمان عند الطفل، وإحساسه بأنه لا بد وأن يكون مختلفاً عن الآخرين لأنهم لا يقبلونه.

10- حاجات أخرى:

يقع على عاتق الأسرة البديلة إشباع عدة حاجات للطفل اليتيم لا يتسع المقام لذكرها منها الحاجة إلى المأكل والملبس والمسكن والزواج، والحاجة للتفوق والاعتزاز بالموروث الاجتماعي، والحاجة إلى الرعاية والتوجيه من طرف أفراد الأسرة، والحاجة إلى إرضاء الكبار للحصول على الثواب الذي يساعد اليتيم في تحسين سلوكه وتوافقه النفسي الاجتماعي، والحاجة إلى إرضاء الأقران مما يكسبه حبه وتقديرهم كعضو في جماعتهم، والحاجة إلى الحرية لزيادة ثقته بنفسه في التعبير عما بداخله، وتبدو هذه الحاجة في ميل الطفل إلى القيام ببعض الأعمال بنفسه دون تدخل الآخرين كاختياره لملابسه وأصدقائه مما يساعده على الاعتماد على نفسه وتحمل المسؤولية.

وهناك الحاجات النفسية التي يصعب على الأسرة البديلة إشباعها للطفل اليتيم، لأنها تتطلب مختصين وكوادر مهنية في هذا المجال، كما أن الاستبطان بحالة اليتيم واستبصار كوامنه الداخلية واللاشعورية أمر صعب، لأن حالة اليتيم لا يحسها أو يستشعرها إلا اليتيم أو الأفراد الذين مروا بنفس تجربته، وبالتالي فهم على دراية بما يعنيه الأيتام.

سابعاً- توصيات الدراسة:

إن مشكلة الطفل اليتيم المحروم من الرعاية الأسرية مشكلة معقدة، وتزداد حدتها عندما تواجه الأسرة البديلة صعوبات أثناء عملية الرعاية، ولعل من أهمها تعدد حاجات الطفل اليتيم، وعدم قدرة الأسرة البديلة على إشباعها، وخوفها من سحب الطفل المتبني منها بعد اعتيادها عليه، أو جهل الوالدين بأصول التربية وتهديدها للطفل بأثامها سيأخذانه

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

إلى مؤسسة الإيواء كعقاب، وفي المقابل يهددهما الطفل بأنه سيتركهما أو يبحث عن أسرة أخرى.

ونخلص مما تقدم إلى بعض التوصيات التي نراها مهمة وضرورية لإشباع حاجات الطفل اليتيم وهي كالآتي:

1- ضرورة منح اليتيم الحب والرعاية ومعاملته على أنه فرد عادي من أفراد الأسرة، وإشراكه في الجوانب والأنشطة الثقافية والترفيهية التي يرغب فيها، لإشباع مختلف حاجاته ورغباته.

2- إقامة دورات تدريبية تأهيلية خاصة للأسرة البديلة في التعامل النفسي مع الطفل اليتيم حتى يتجنب الوقوع في السلوك العدواني، وهذه الدورات يجب أن يشرف عليها مرشدين نفسيين مؤهلين.

3- إتاحة الفرص الفردية والجماعية لليتيم ليعبر عن وجهة نظره وآرائه فيما يتعلق بشؤون حياته، وإعطائه حرية في اختيار ما يرغب في ممارسته، مما يساعده على تنمية شخصيته ومهاراته.

4- يجب التركيز على الحاجات النفسية والاجتماعية في رعاية اليتيم، لأنها الأكثر تأثيراً في بناء شخصيته، وتعزيز صحته النفسية التي لا تتوقف على تلبية حاجاته المادية والفسولوجية فحسب.

5- ضرورة الابتعاد عن إصدار الأحكام المسبقة على الجوانب النفسية لليتيم ومستقبله، لأن التعامل معه ينبغي أن ينطلق من أنه في حالة نمو دائم ومستمر، وصحته النفسية تحتاج إلى دراسة ومتابعة من طرف كوادر مؤهلة ومختصة.

6- يجب الابتعاد قدر الإمكان عن أساليب التسلط في معاملة اليتيم، لما لها من الأثر البالغ في شخصيته، حيث يتولد لديه الإحساس بالضغط الناتج عن عملية الكبت، وهذا ما حذرت منه مدارس علم النفس.

7- توعية الأسرة البديلة بأهمية دورها في إشباع حاجات اليتيم الملحة، وعدم الانشغال عنه، وعدم التعامل معه بحساسية واهتمام زائد.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

8- تفعيل المتابعة الدقيقة للأسرة البديلة من قبل الجهات المسؤولة، ودراساتها قبل تسليم الطفل اليتيم، وتوعيتها بجمية عدم استقرار هذا الطفل لديها، مع زيادة الحوافز المادية المخصصة لهذه الأسرة.

خاتمة:

من خلال ما سبق فإن مسألة رعاية اليتيم من المسائل الهامة في المجتمع، وبالرغم من أنه هناك العديد من الجمعيات على المستوى الوطني والدولي، تعمل على تغطية الحاجيات المادية والاجتماعية والنفسية للأيتام، إلا أن هذه الجمعيات لا يمكنها أن تعوض دور الأسرة البديلة في رعاية اليتيم خاصة من الجانب النفسي، ومن هنا وجب على الأسرة البديلة أن ترشد اليتيم وتوجهه وتحقق له حاجياته للتخفيف من معاناته النفسية والاجتماعية، وتعلمه كيفية ضبط غرائزه والسيطرة على انفعالاته والتكيف مع الواقع المعاش، وخاصة أن مسألة التوازن النفسي والانفعالي والاجتماعي لليتيم تتأثر بشكل مباشر تبعاً لرد أفعال العاملين معهم من حيث تناقض المواقف والاتجاهات.

وفي الأخير يجب على الباحثين والمهتمين بقضايا الأطفال إجراء المزيد من البحوث والدراسات المستقبلية حول دور الأسرة البديلة في رعاية اليتيم بصفة عامة، وإشباع حاجاته المختلفة بصفة خاصة مع الأخذ في عين الاعتبار المتغيرات البيئية والثقافية والشخصية للطفل اليتيم.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم بن مبارك الجوير، الأسرة وأثرها في تحقيق الأمن الفردي والمجتمعي، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 21- 2/24 عام 1425هـ.
- 2- أبو نيل محمد السيد، علم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ج 2، ط 4، بيروت، لبنان، 1985.
- 3- أحمد ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المجلد: 9، دار التقوى، القاهرة، مصر، 2000.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

- 4- أحمد سهير كامل، محمد سليمان، تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2002.
- 5- السيد أحمد فرج، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، دار الوفاء، مصر، 1986.
- 6- بيكمان بايولاج، استراتيجيات العمل مع أسر ذوي الاحتياجات الخاصة، ترجمة عبد العزيز السرطاوي وآخرون، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003.
- 7- تسعديت قدوار، أثر تكنولوجيا الاتصال على الإذاعة وجمهورها، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال (منشورة)، جامعة الجزائر 3، 2011.
- 8- حمدان بن عبيد العتيبي، تجربة الأسر البديلة لرعاية الأحداث من الانحراف، دراسة تشخيصية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 2010.
- 9- حمدي السكري، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعارف المصرية، 2000.
- 10- حنان أسعد خوج، تصور مقترح لتطوير أساليب رعاية الأيتام بالسعودية في ضوء اتجاهات بعض الدول العربية، دراسة مقارنة، مجلة العلوم التربوية، المجلد 22، العدد 4، ج 1، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة، أكتوبر 2014.
- 11- رائد خليل سالم، المدرسة والمجتمع، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.
- 12- زهير عبد المالك، علم الاجتماع لطلاب الفلسفة، منشورات مكتبة الوحدة العربية، دون سنة.
- 13- سمر الطائي، التنمية السياسية، التنمية الاقتصادية والأمن، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2004.
- 14- عبد الأحد ملا رجب، أحكام اليتيم في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير منشورة، دار الأطلس للنشر والتوزيع، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، قسم الفقه، الرياض، السعودية 1412-1413هـ.
- 15- عبد الله بن فهد الشريف، دور الأسرة في أمن المجتمع، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن، كلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 21- 2/24 عام 1425هـ.

دور الأسرة البديلة في إشباع حاجات الطفل اليتيم ----- د. جمال حواوسة

16- عبد العزيز عابد، مفهوم الحاجات وأثره على الإنماء الاقتصادي، بحث منشور في: أبحاث المؤتمر الأول للاقتصاد الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، دار العلم، جدة، السعودية، دون سنة.

17- عدلي سليمان، الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.

18- عزه حسين زكي، دراسة عن المشكلات السلوكية التي يعاني منها أطفال المرحلة الابتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية، رسالة ماجستير، مكتبة معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1985.

19- فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، انترناسيونال، ط 2، بيروت، لبنان، 1998.

20- كمال يوسف بلان، الاضطرابات السلوكية والوجدانية لدى الأطفال المقيمين في دور الأيتام من وجهة نظر المشرفين عليهم، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد: 1 و2، سوريا، 2011.

21- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986.

22- محمد عبد العزيز الخولي، عظات بالغة متخيرة من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، دار العلوم والقضاء، القاهرة، 1931.

23- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2006.

24- منى عبد اللطيف عبد الحمدي جاد الحق، قصور الرعاية الاجتماعية وعلاقته بالاضطرابات السيكوسوماتية والانحرافات السلوكية لدى أبناء المؤسسات الرسمية والأهلية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 2005